المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 11-07-2007
الصفحـات : 20
العـــدد : 14261
المسلسل : 165

إنه وطن رائع يصنع نفسه

علي بوخمسين

إن المعالجات الرسمية لشؤون طارئة ومسائل ملحة تعكس التطور في الوصول الى المزيج المدني والثقافي وهو بوابة الحضور في العالم المعاصر، وتبلوره تحت عناوين رسمتها القيادة العليا للبلاد في نداء خادم الحرمين الشريفين الشهير (لا يسعنا أن نبقى واقفين بينما يسير العالم)

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 11-07-2007 العـــدد : 14261
الصفحـات : 20 المسلسل : 165

إن ما يمنح الأفكار والرؤى المعنى والجدارة هو تحولها الى اشياء ينعم الناس بمردوداتها وتضيف الى حياتهم عمقاً، بيد أن المرء لا يحتاج لأن يصمت طويلاً في عالمنا العربي لكي يصبح مخترقاً بالضجيج حول أفكار ورؤى تملأ كيانه بالخواء الذي لا يمنح المعنى حيزاً لأنه لا يملكه.

في المملكة العربية السعودية يحدث التحول الجذري للقاعدة ويتبدد تواترها المفعم بالركودية والسكون، فيتحدد الفعل في إطار رؤية تخاطب قضايا المستقبل انطلاقاً من معرفة الحاضر وتتفاعل مع معطياته في حوار يتسم بالشجاعة والصدق، فيتجه الفعل بوضوح نحو اشادة النموذج المدني الممتزج بالإرث الثقافي والإنساني، موفراً للبلاد أرضية الانفكاك من التلكؤ الحضاري وحث الخطى للترقي بمستوى العيش والتعليم عبر بنية اقتصادية متكاملة ومستقرة، ونظام تربوي وتعليمي متطور، وتوضح التخطيطات المعلنة، ان التطلعات الرسمية قد استخلصت الدروس النافعة من تجاربها السابقة، وتخلت عن الارتجال والانفعال العاطفي في مواجهاتها لمسائل التنمية وبناء القاعدة الاقتصادية بالتوازن مع الاحتياجات الاجتماعية العاجلة والمتكاثرة.

إن المعالجات الرسمية لشؤون طارئة ومسائل ملحة تعكس التطور في الوصول الى المزيج المدني والثقافي وهو بوابة الحضور في العالم المعاصر، وتبلوره تحت عناوين رسمتها القيادة العليا للبلاد في نداء خادم الحرمين الشريفين الشهير (لا يسعنا أن نبقى واقفين بينما يسير العالم)، حقاً لا يسعنا ان نفعل ذلك وإلا دفنتنا رمال الصحراء، هل من يجادل؟.

يتزايد احساس مشترك، رسمي وشعبي، بأن علينا أن نلهب خطانا لنقهر المسافة الشاسعة ونطوي الزمن البعيد، ولكن مثل هذا الاحساس لا يحلق بالبلاد نحو أحلام هائمة، ثمة معرفة بأن النمو سيكون عملاً دؤوباً وكداً لا يهمد، فالحقول لا تنبت قمحاً وحدها، كما أن العوائق والصعوبات لا تحل نفسها بنفسها، وهناك ادراك بالمخاطر التي لا تقتصر على خصوصية المورد البترولي وملابسات الأسواق أو انتمائنا الى اقليم متفجر، ومنطقة تدور على أديمها أشكال الصراعات الدولية فحسب، ولكنها تتسع نحو إشكاليات التنمية ونتاجاتها الجانبية وبروز مظاهر سلبية على النسيج الاجتماعي والوحدة الوطنية، ولكن ذلك لا يترك أثراً ذا شأن على عزيمة متجددة لإعادة ترتيب عناصر المعادلة وخلق حقائق جديدة تقود البلاد الى مرحلة التنمية المتفاعلة ذاتياً والمحققة للرفاه الاجتماعي، وهنا على المرء أن يكون سخياً ويهتف: هذا رائع.. ويصفق، تماماً كما عليه أن يكون جريئاً ويعترض: لا ليس هذا.. انه خطأ، فالاستجابة ازاء شبكة الاشكاليات لم تسجل انعكاساً لإحباط من أي نوع، وكل الخطوات تبدو واثقة تتسع بتوازن وثبات على أرض لم يجر تمهيدها بصورة تامة ولكنها ظلت تستقبل الخطوات الرسمية وتحتضنها في تجاوب متزايد، فعندما استهل خادم الحرمين الشريفين حملته لاجتثاث الفقر، لم يكن ذلك ليبدو فاتحة لتصور جديد مؤهل للتراكم بسرعة هائلة، بقدر ما اندرجت وقتها في سياق الحنو الأبوي والتراحمية المتكلة تاريخياً لخلفية العلاقة الشعبية والحكومية، ولكنها اكتسبت بسرعة وجوداً وطنياً شاملاً وتكاملت في برامج وتوجهات مشتركة شعبياً ورسمياً لتقليص الفجوة المعيشية وردم شقة التفاوت بين حظوظ المواطنين وتخفيف حدة الفوارق المنتجة للتصدعات على صفحة الوطن الواحد، نعم هذا كله رائع، لأنه يكتسي رداءً وطنياً والتزاماً بعد أن خلع عنه رويداً صفة التفضل وانضوى تحت عناوين المسؤولية والالتزام، وأصبح جزءاً من المخطط الوطني للتنمية الشاملة الساعية الى تحقيق أساس اقتصادي متوازن، طبقياً ومناطقياً، الرؤية التحديثية للبلاد إذاً تحاول تجاوز نتائج سلبية كانت قد اعتبرت في الماضي نتاجاً لا مناص منه للتنمية.

إن المدركات الواعية تتشكل في تيار من الحيوية، يعبر عن نفسه في الخطاب اليومي رسمياً وشعبياً وفي منجزات حية وماثلة تنهض في إطار التفاعل بين المجهودات الحكومية والخاصة، حيث يتغذى هذا التيار على اشتغال القيادة العليا بالقضايا الجوهرية لمسألة النهضة عبر السعي الحثيث للارتباط المتوازن ثقافياً وانسانياً مع عالم (سيار) لا يتوقف، وفي رحلات العمل التي قام بها خادم الحرمين الشريفين، كان ثمة روح تنبعث لمباهدة العالم وممانعة دواعي التخلف وتفاهة المقام فيه، فقد كانت تلك الرحلات فاعلة لحشد الامكانيات وبناء استراتيجيات العلاقة المتبادلة مع فعاليات العالم، مؤكدة وعي البلاد وعمق استجابتها لحقائق المتغيرات الحاسمة في توازنات القوى الاقتصادية والسياسية، لتشكل تحركاً مجسداً لمعطيات عقلانية على خلفية المصلحة الوطنية العليا، مدشنة لمرحلة جديدة لمعنى العلاقات الدولية القائمة على الاعتماد المتبادل لا على التبعية.

لذا فإن الروح التي يبعثها التناول القيادي للمسائل الاستراتيجية والجوهرية والمتجسد في رؤية خادم الحرمين الشريفين تتجدد مدفوعة ببقينية نابضة بأن ما يحتويه هذا العالم يملكه من يفك أسراره ويفتح خزائنه، وان اضطهاداته وظلاماته لا تعرف غير طريق المتكئين على أرائك أحلامهم.

هذه البلاد تبدو وكأنها تأخذ كامل أهبتها وتتجمع لكي تنتفض مؤكدة تمردها على كل الإحباطات والمعوقات

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 11-07-2007 العـــدد : 14261
الصفحـات : 20 المسلسل : 165

والظروف البيئية الاقليمية والإنسانية المتعسرة، وهي تطرح خطاباً وصيغاً لم يألفها التاريخ الحديث للمنطقة، لا تعلن شيئاً أكثر من معرفتها بأن (لا يسعنا الوقوف والعالم يسير ويبتعد)، معبرة بذلك في تأكيد لا يقبل النقض على لسان قائدها الأعلى عن اقتراب الوعي القيادي والشعبي من لحظة العصر، ونزوعه المتوثب لتلمس زمان العالم، وحيث تدرك ان الفتوحات الكبرى تكتب فصولها الأولى في ساحة الداخل تحت حراسة الضمير الوطني والأخلاقي، فهي تؤكد نفسها أولاً على مستوى الوعي لكي تتغلب على سباتها المزمن وتغادر هيكل الانطواء على الذات، نحو تهجي مفردات الزمن وتأمل عدته وأدواته والاشتباك بجدلياته ووقائعه المتواترة، وهي تتجه بإرادة وتصميم نحو امتلاك القدرة على انتاج حقائق حاسمة لاعادة بناء الأساس الاقتصادي والارتفاع بمستويات التعليم والمعرفة، معبرة عن ادراكها بأن حتمية تحققها في العالم هي تأكيد امكانياتها لامتلاك هذه المقدرة في الانتاج والمعرفة، وان ذلك لن يكون ممكناً دون تخليها عن سكونيتها التاريخية وانضمامها الى ركب العالم السائر والذي سيظل سائراً الى أن يشاء الله.

وفي استدارة مثيرة ظهرت البلاد قادرة على قراءة خرائط سيرها وتجديد قواميسها وأبجديتها بعد أن قررت أن تباشر السير استجابة لنداء قائدها الذي وضع شروط المسيرة وقوانينها، في مشروع وطني عملاق يطلق تحولاً شاملاً في التنمية البشرية والاقتصادية ويضع البلاد على طريق صاعد لا رجوع عنه، حيث تمثل المظاهر التأسيسية المتراكمة التي تطالع المواطنين صباحاً ومساء أحد وجوه الدعوة لمسار جماعي يصنعه الجميع وينعمون بثماره، والعناية الالهية وحدها تغدق علينا (مفاتيح) العبور الى حيث يتواجد العالم وتحتشد شعوبه، ويتجلى ذلك في تزايد الموارد في وقت يتزايد الادراك فيه لمعاني القبض على الزمن المسرع وامتلاك صيغ التخاطب بمفرداته ضمن خصوصية المزيج المدني والثقافي الذي بلورته البلاد عبر تجربتها الطويلة وتبنته القيادة العليا، وحيث يتصاعد الطموح الوطني وتزدحم التطلعات الكبرى على أفق المستقبل فإن صورة العقود القادمة تتشكل على خارطة المشاريع الرائدة التي تتواتر مرات في اليوم الواحد، وتنفتح البلاد على أعظم آمالها في الانعتاق من أسارها (الريعي) مفرط الرعونة والنزق، وما يجعل ذلك استثنائياً في مناسبة تستقر في الوجدان الوطني هي مبايعة خادم الحرمين الشريفين، هو استعادة الحيوية للخطاب التراحمي وصيغ العلاقات الإنسانية التقليدية افقياً ورأسياً، مشحونة هذه المرة بحمولة واعية ومتفتحة من مفاهيم اعادة البناء الانساني في صياغات مترابطة مع الأهداف الوطنية اجتماعياً واقتصادياً.

ستكون الأعوام القادمة زمناً حاسماً ربما امتد تأثيره لعقود طويلة، لأنه سيكون زمناً عامراً لن يمر دون أن يبعثر التشكيلات القائمة على مستوى الاقتصاد والتنمية ونوعية المعرفة والتعليم، بيد أن ما يجعله جديراً بالهتاف هو تحققه داخل ذلك المزيج الذي لا يفرط بثوابت الإرث الثقافي والحضاري، من هنا يصبح واضحاً كيف كان الناس بالخارج يكتشفون ما يجري استنباته في هذا الجزء من العالم وسط فيض من المبادرات الإنسانية جعلتهم يمنحون القائد الأعلى للبلاد لقب (الملك الإنسان) بينما كان مواطنوه يهتفون لصقر الجزيرة رمزاً للشهامة والفروسية.

انه زمن رائع، روعة مدهشة حقاً، لأن من يصنعه أهله الذين يفسحون له حيزاً ويطبعون مفرداته على صحائف خصوصيتهم.